

تفسير البحر المحيط

@ 187 أن أشجار الأرض أقلام ، والبحر ممدود بسبعة أبحر ، وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات □ ، { مَّـا نَفِيدَت ° } ، ونفدت الأقلام والمداد الذي في البحر وما يمدده ، كما قال : { لَّـو ° كَانِـا الدِّيـحَرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي } الآية . وقال الزمخشري : فإن قلت : زعمت أن قوله : { وَالدِّيـحَرُ يَمُدُّهُ ° } ، حال في أحد وجهي الرفع ، وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال ، قلت : هو كقوله : .
وقد اغتدي والطير في وكناتها .

وجئت والجيش مصطف ، وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف . يجوز أن يكون المعنى : وبحرها ، والضمير للأرض . انتهى . وهذا الذي جعله سؤالاً وجواباً من واضح النحو الذي لا يجهله المبتدئون فيه ، وهو أن الجملة لا سمية إذا كانت حالاً بالواو ، لا يحتاج إلى ضمير يربط ، واكتفى بالواو فيها . وأما قوله : وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف ، فليس بجيد ، لأن الطرف إذا وقع حالاً ، ففي العامل فيه ضمير ينتقل إلى الطرف . والجملة الاسمية إذا كانت حالاً بالواو ، فليس فيها ضمير منتقل . وأما قوله : ويجوز ، فلا يجوز إلا على رأي الكوفيين ، حيث يجعلون أَل عوضاً من الضمير . وقال الزمخشري : فإن قلت : لم قيل : { مِنْ شَجَرَةٍ ° } ، على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر ؟ قلت : أريد تفصيل الشجر ونقضها شجرة شجرة ، حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة إلا قد برت أقلاماً . انتهى . وهذا النوع هو مما أوقع فيه المفرد موقع الجمع ، والنكرة موقع المعرفة ، ونظيره : { مَا نَنسَخُ مِنْ آيَةٍ ° } ، { مَّـا يَفْتَحُ اللَّـهُ لِّلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ° } ، { وَلِلَّـهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ دَابَّةٌ ° } ؛ وكقول العرب : هو أول فارس ، وهذا أفضل عالم ، يريد من الآيات ومن الرحمات ومن الدواب ، وأول الفرسان . أخبروا بالمفرد والنكرة ، وأرادوا به معنى الجمع المعرف بأل ، وهو مهيع في كلام العرب معروف . وكذلك يتقدر هذا من الشجرات ، أو من الأشجار . وفي هذا الكلام من المبالغة في تكثير الأقلام والمداد ما ينبغي أن يتأمل ، وذلك أن الأشجار مشتمل كل واحدة منها على الأغصان الكثيرة ، وتلك الأغصان كل غصن منها يقطع على قدر القلم ، فيبلغ عدد الأقلام في التناهي إلى ما لا يعلم به ، ولا يحيط إلا □ تعالى . .
وقرأ الجمهور : { مَا * نَفِيدَت ° كَلِمَاتُ اللَّـهِ } ، بالألف والتاء . وقرأ زيد بن علي : كلمة □ ، على التوحيد . وقرأ الحسن : ما نفذ ، بغير تاء ، كلام □ . قال أبو علي : المراد بالكلمات ، و□ أعلم : ما في المعدوم دون ما خرج من العدم إلى الوجود . وقالت

فرقة : المراد بكلمات ا□ : معلوماته . وقال الزمخشري : فإن قلت : الكلمات جمع قلة ،
والمواضع مواضع التكثير لا التقليل ، فهلا قيل : كلم ا□ ؟ قلت : معناه أن كلماته لا تفي
بكتبتها البحار ، فكيف بكلمة ؟ انتهى . وعلى تسليم أن كلمات جمع قلة ، فجموع القلة إذا
تعرفت بالألف واللام غير العهدية ، أو أضيفت ، عمت وصارت لا تخص القليل ، والعام مستغرق
لجميع الأفراد . { أَنْ - اللَّهَ - عَزَّ - يَزُ } : كامل القدرة ، فمقدوراته لا نهاية لها . {
كَلِيمٌ } : كامل العلم ، فمعلوماته لا نهاية لها . ولما ذكر تعالى كمال قدرته وعلمه ،
ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر . { إِلا - كَذَّبُوا - واحِدَةً } : إلا كخلق نفس واحدة
وبعثها ، ومن لا نفاذ لكلماته يقول للموتي : كونوا فيكونون ، فالقليل والكثير ، والواحد
والجمع ، لا يتفاوت في قدرته . وقال النقاش : هذه الآية في أبيّ بن خلف ، وأبي الأسد ،
ونبيه ومنبه ابني الحجاج ، قالوا : يا محمد : إنا نرى الطفل يخلق بتدريج ، وأنت تقول :
ا□ يعيدنا دفعة واحدة ، فنزلت . { إِنْ - اللَّهَ - سَمِعَ بِصَيْرٍ } : سمع كل صوت ،
بصير يبصر كل مبصر في حالة واحدة ، لا يشغله إدراك